رأي القدس

خطف الصحافيين في غزة

■ يلعب الاعلام هذه الايام، وبسبب ثورة الاتصالات التي تسود العالم، دوراً كبيراً في صياغة الأحداث العالمية، وبات هو الذي يضع اجندة السياسيين، وليس العكس مثلما كان عليه الحال في القرن الماضي.

وكشفت الحروب الامريكية في العراق وافغانستان مدى تأثير الاعلام، وقدرته على كشف الحقائق، وتكوين الرأي العام العالمي، سلبا او ايجابا، تجاه الحكام وصناع القرار، خاصة في كل من لندن وواشنطن.

ولا بد من الاعتراف بان تحولا كبيرا حدث في تناول الاعلام العالمي لقضايانا العربية، وخاصة القضية الفلسطينية، حيث بات هذا الاعلام اقل انحيازا للدولة العبرية، واكثر تعرية لمجازرها في حق المواطنين العزل الابرياء في الضفة وقطاع غزة، الامر الذي يحتم على كل مواطن او مسؤول فلسطيني التعامل بحساسية، خاصة مع ممثلي الصحف والمحطات التلفزيونية الذين يغطون الاحداث، ويحاول تقديم كل مساعدة لهم لاداء مهامهم على الوجه الاكمل.

ومن هنا لا نعتقد ان خطف صحافيين يمثلان محطة «فوكس» الامريكية، كانا في مهمة مهنية لتغطية الاوضاع في قطاع غزة في ظل الحصار وعمليات التوغل والقتل الاسرائيلية، يخدم المصالح والاهداف الوطنية الفلسطينية، بل ربما يؤدي الى نتائج عكسية تماما.

نحن نتفق تماما مع السيد غازي حمد الناطق باسم الحكومة الفلسطينية في تصريحاته التي وصف فيها عملية الاختطاف هذه بانها مسيئة للشعب الفلسطيني واخلاقياته والتي تعتبر هؤلاء الاجانب ضيوفا، تجب حمايتهم وتقديم كل العون لهم لاداء مهمتهم على الوجه الاكمل.

الصحافيون الغربيون في معظمهم كانوا جنودا مخلصين في خدمة الحقيقة، وتقديم معاناة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال بصورة صادقة ومعبرة، احدثت تحولا في اوساط الرأي العام العالمي لصالح القضية الفلسطينية والقضايا العربية الاخرى.

وعلينا ان نتذكر ان الصحافة الاجنبية هي التي فضحت التعذيب في سجن ابو غريب، وهي التي كشفت فداحة مجازر حديثة التي ارتكبتها القوات الامريكية في العراق، وهي التي كانت اول من دخل مخيم جنين بعد المجزرة الاسرائيلية التي ارتكبت في حق ابنائه.

الجيل الجديد من الصحافيين الاجانب يختلف كليا في معظمه عن الجيل القديم الذي كان متأثرا ببعض الافكار الاستعمارية، ويعاني من عقدة ذنب الهولوكوست، واضطهاد اليهود في اوروبا. وهذا الجيل يبدو اكثر تفهما وانحيازا الى الحقيقة، وهذا ما نريده ونتطلع اليه في ظل الظلم الذي يتعرض له العرب والمسلمون بسبب السياسات الخارجية الامريكية والبريطانية المتغولة.

اننا نرفض عملية خطف الصحافيين في قطاع غزة، ونعتبرها اجهاضا لتاريخ فلسطيني عريق ومتجذر في حسن معاملة هؤلاء، واكرام وفادتهم، وتسهيل مهامهم، تقديرا لدورهم، وعرفانا بجهودهم في تقديم الوقائع المريرة على الارض. ولهذا نضم صوتنا الى اصوات الكثيرين الذين يطالبون بالافراج فورا عن هذين الصحافيين ودون اي شروط.

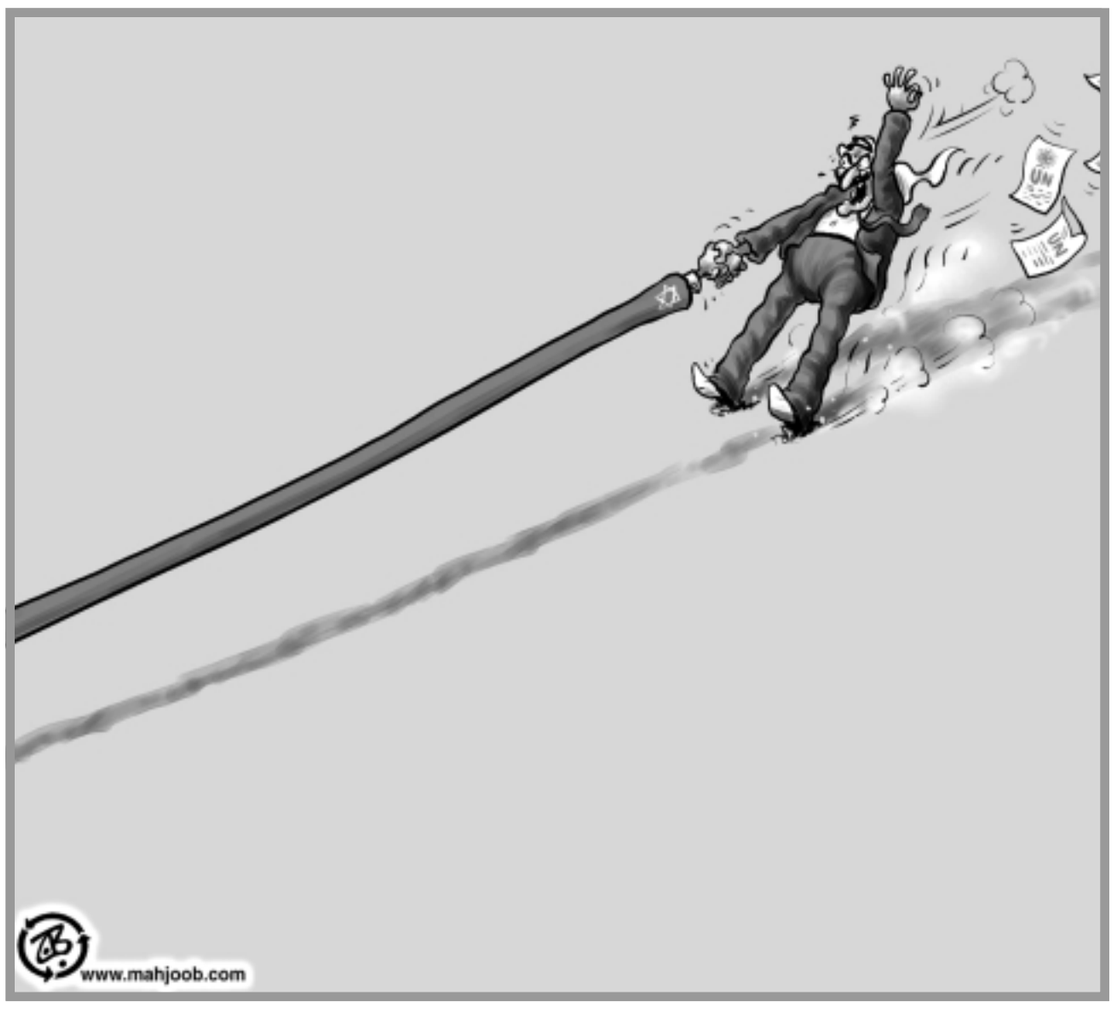

لماذا يستحيل نزع سلاح حزب الله؟

د. بشير موسى نافع *

■ ما ان سكتت المدافع في الحرب الإسرائيلية على لبنان حتى انفجر الجدل السياسي في العاصمة بيروت وكأن حرباً لم تشن وصموداً ونصراً لم يتحققا. كما انتهت جلسات الحوار الوطني الطويلة عند عقدة سلاح حزب الله، انطلق جدل ما بعد الحرب حول المسألة ذاتها. فرقاء الأكثرية البرلمانية اللبنانية، أو قطاع مهم منهم على الأقل، انتظروا بتفاؤل كبير ان تقضي الحرب الإسرائيلية على حزب الله كقوة مقاتلة وتضعه في حجم متواضع يمكن التعامل معه كطرف هامشي وصغير في الساحة السياسية اللبنانية. ولكن الحزب فاجأهم بأدائه العسكري الهائل، كما فاجأ القيادة الإسرائيلية وأحبط مخططاتها. على ان حجم العدوان المدمر على كل لبنان، وأداء الحزب وانتصاره على الآلة العسكرية الإسرائيلي، لم يكفيا لوضع حد لجدل السلاح، وانطلق فرقاء 14 آذار يحاولون تحقيق ما لم تستطع حرب الثلاثين يوماً و130 ألف قذيفة إنجازه. الخطأ الذي يقع فيه المعسكر اللبناني المطالب بنزع سلاح حزب الله أنه ربما لم يدرك ان مسألة سلاح الحزب تتعلق باستراتيجيات كبرى وواقع سياسي بالغ الاشتباك والتعقيد وليس بأصوات التهديد والاتهامات، وبلاغة الخطاب. في هذه المرحلة، ربما يمكن القول ان من المستحيل تخلي حزب الله عن سلاحه. بل ان الأرجح ان الحرب على لبنان عززت لدى شعوب المنطقة من مصداقية هذا السلاح.

ما تردد كثيراً خلال الأسابيع القليلة الماضية ان لبنان لا يمكنه ان ينجو ان استمر ساحة لصراعات القوى الإقليمية والدولية؛ بمعنى ان حزب الله خاض الحرب نيابة عن سورية وإيران اللتين لم تطلق عليهما أو منهما طلقة واحدة خلال أيام الحرب الطويلة، ولم يعان شعباهما ولو جزءا من معاناة الشعب اللبناني. حزب الله هو بالفعل حليف أساسي لسورية وإيران، إلا ان من الصعب على الرأي العام العربي واللبناني، وعلى كل ذي عقل، ان يقبل بمقولة ان العدوان الشامل على لبنان كانت واستخدمت مبرراً للعدوان الشامل على لبنان كانت بإيحاء من سورية وإيران. لو كان حزب الله يسعى إلى إشعال حرب، فكيف يمكن تفسير مفاجأته بحجم العدوان، المفاجأة التي عبر عنها نصرالله نفسه. حزب الله، كما أشار عدد كبير من المراقبين، نفذ عملية حاولها بدون نجاح من قبل، عملية لم يكن أحد في قيادة حزب الله يعلم على وجه اليقين كيف ستنتهي، عملية تقع بكل المقاييس تحت السقف المعتاد للصراع. بيد ان لبنان استخدم بالفعل ساحة لصراعات قوى خارجية، والذي استخدمه هذه المرة لم يكن حزب الله، بل الولايات المتحدة والدولة العبرية. حجم الحرب التي شنت على لبنان، بشاعة الحرب، وتيرتها ومداها التدميران، واتساع نطاق أهدافها، كلها تشير إلى سياسة تصفية حسابات، بغض النظر عما ان كانت خطط الحرب قد وضعت منذ شهور أو لا. الدولة العبرية والإدارة الأمريكية أرادت استخدام لبنان، عبر تدميره وإيقاع خسائر مؤلمة بشعبه، وسيلة لإضعاف الموقفين السوري والإيراني، وصنع مناخ استراتيجي جديد في المنطقة. هذا هو المنطق الوحيد الممكن لتقديم قراءة عقلانية لهذا الحرب، قراءة لا تصطدم عناصرها بالعقل ونظام الأشياء.

أما المسألة الثانية بالغة الأهمية فتتعلق بموقع جنوب لبنان في التصور الإسرائيلي للذات. في كتابه الأخير، «السور الحديدي: إسرائيل والعالم العربي»، يشير المؤرخ الإسرائيلي ـ البريطاني آفي شليم إلى ان بن غوريون، رئيس الوزراء الإسرئيلي لعدة فترات وأحد أبرز الآباء المؤسسين للدولة العبرية، أوضح منذ منتصف الخمسينات تصوره لضم المنطقة جنوبي الليطاني للدولة العبرية وتحويل ما تبقى من لبنان إلى دولة مارونية. بني هذا التصور على ضرورة ان تكون للدولة العبرية حدود طبيعية، وعلى حلم إحاطة هذه الدولة بدول عربية طائفية او عرقية تلعب دور الفضاء العازل مع مناطق الثقل العربية المعادية. لبنان، بالطبع، تحول منذ ما بعد 1982 إلى ساحة استنزاف للجيش الإسرائيلي ورمز على عجزه وإخفاقه؛ كما ان أهل جنوب لبنان، حتى إن غادروه لأيام وأسابيع في لحظات الحرب والموت، سرعان ما عادوا إلى بلداتهم وقراهم ومزارعهم. ويصعب، ربما، ان يوجد اليوم زعيم إسرائيلي ولو بنصف عقل يعتقد بإمكان تنفيذ تصور بن غوريون. ولكن ذلك لا يعني ان جنوب لبنان قد خرج نهائياً من رؤية الدولة العبرية لمحيطها الاستراتيجي. لعب خط الليطاني دوراً بارزاً في كل الحروب الإسرائيلية ضد لبنان خلال العقود الثلاثة الماضية، وكأن جنوب النهر أصبح جزءا لا يتجزأ من العقيدة العسكرية للجيش الإسرائيلي. بدون تغيير جوهري في البنية الفكرية والسياسية للدولة العبرية، وبدون سلام نهائي وشامل في المنطقة يستجيب لمطالب وحاجات الفلسطينيين والعرب، فسيبقى جنوب الليطاني ميداناً للصراع.

المسألة الأخرى التي لابد ان تؤخذ في الاعتبار تتعلق بنتيجة الحملة الإسرائيلية على لبنان. فبالرغم من الجدل الذي شهده الجانب العربي حول المنتصر والمهزوم في الحرب، فإن الجانب الإسرائيلي يكاد يجمع على إخفاق الجيش والحكومة في تحقيق الأهداف التي وضعت للحرب، حتى في صيغتها المتواضعة. الخسائر التي اوقعت بلبنان لا يمكن التقليل منها، سواء الخسائر في الأرواح أو في المؤسسات والبنى التحتية. ولكن الحروب لا تقاس بهذه المقاييس. لو ان الدولة العبرية انتصرت وحققت أهدافها، فإن أحداً ما كان له ان يحسب عدد المنازل المدمرة في حيفا وكريات شمونة، ولا عدد القتلى في صفوف الجيش، ولا حجم الخسارة الاقتصادية. أوقعت بلبنان خسائر فادحة، صحيح، ولكن المقاومة اللبنانية أفشلت العدوان، أربكت القيادة السياسية الإسرائيلية، وأوقعت إهانة بالغة بالجيش الإسرائيلي. وهذه هي النتيجة الحقيقية للحرب. ما تبقى من جدل بين النخب العربية يتعلق بخلفيات أيديولوجية وسياسية، كما يتعلق برغبات وأماني، لا بحقيقة ما جرى على الأرض.

الإخفاق الإسرائيلي في الحرب هو إخفاق متعدد الاوجه: فهو إضعاف كبير لقوة الردع الإسرائيلية، وهو رافعة هائلة للشعوب العربية ولقوى المقاومة في المنطقة، وهو دعم كبير للموقفين السوري والإيراني. فكيف يمكن للجانب الإسرائيلي التعامل مع كل هذه الآثار الفادحة للحرب؟ أحد الاحتمالات هو أن تدرك القيادة الإسرائيلية أخيراً حدود القوة، وان من غير الممكن للدولة العبرية ان تنتقل إلى وضع الحياة العادية بدون مصالحة حقيقية وجادة ودائمة مع محيطها العربي والإسلامي. وهناك أصوات قد ارتفعت في الصحافة الإسرائيلية مؤخراً تدعو إلى مثل هذه المراجعة والخيار. كما ان المؤشرات تتزايد، داخل الحكومة الإسرائيلية وفي واشنطن، على ان ثمة محاولة لإحياء عملية السلام، ليس فقط فيما يتعلق بالمسار الفلسطيني ولكن أيضاً فيما يتعلق بسورية. ولكن توجهات إحياء عملية السلام ليست التوجهات الوحيدة التي يطلقها جدل ما بعد الهزيمة الإسرائيلية. الاتجاه الأغلب في دوائر الأمن والإعلام والسياسة الإسرائيلية هو ضرورة تعلم دروس الحرب ومواجهة أسباب قصور الجيش ثم العودة من جديد لتلقين حزب الله الدرس الأخير. عملية الإنزال الإسرائيلية الأخيرة في البقاع، وتكرار التهديدات باغتيال قيادات حزب الله وأمينه العام، لا تشير إلى محاولة إسرائيلية لتحقيق انتصار متأخر وحسب، بل وتستبطن أيضاً شعوراً عميقاً بالأزمة. هذه الدولة بنيت على العنف، توسعت بالعنف، واجهت أماني الشعوب التي احتلت أرضها بالعنف، ويسكن العنف كل زاوية من زوايا ثقافة شعبها.

ولأن الحرب لم تكن حرباً إسرائيلية وحسب فإن انتصار حزب الله أصبح مشكلة أمريكية أيضاً. خرج حزب الله من الحرب اكثر شعبية على المستوى العربي والإسلامي، ولكنه خرج أيضاً وقد تعزز موقعه اللبناني الداخلي، سواء في الساحة السياسية أو في الساحة الشعبية. ولا يمكن عزل انتصار حزب الله عن الطموحات الوطنية الفلسطينية وعن الحرب الدائرة في العراق. لقد قدم حزب الله دليلاً جديداً على تراجع المشروع الصهيوني، وعلى الفشل الذريع لسياسة الإدارة الأمريكية في المشرق العربي، كما قدم دليلاً لا يقل أهمية على إمكان لخدمة سياسات عليا للدولة العبرية والإدارة الأمريكية، وعندما يرون ان ما حمى كرامة لبنان وشعبه كان سلاح حزب الله واستبسال مقاتليه، فكيف يمكن للأنظمة العربية الصديقة لواشنطن ان تمنع الشعب من التسلح. سواء جاءت الشهور القادمة بحلقة جديدة من حلقات عملية السلام، أو بجولة أخرى من الحرب، فالتسلح الشعبي بات الخيار الأكثر مصداقية لشعوب المنطقة.

* كاتب وباحث عربي في التاريخ الحديث

موقف الحكومات العربية بعد حرب لبنان

د. يوسف نور عوض *

■ أتعرض في البداية إلى التصريح الذي نسب إلى العقيد معمر القذافي والذي عرض فيه وساطته بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية. وهي وساطة يريد بها القذافي أن يدعم موقفه كرجل سلام تعتمده الولايات المتحدة في حل بعض مشكلاتها. ولكننا نعرف أن الوساطة بين المتخاصمين تعني تقريب شقة الخلاف بينهما، وهو ما لم يهتم به القذافي الذي أعلن قبل قبول وساطته أنه يريد من كوريا الشمالية أن تتخلى عن برنامجها النووي ما يعني أن تقدم كوريا تنازلا مجانيا للولايات المتحدة، ويحدث ذلك في وقت لا يسلم فيه عاقل بأن كوريا الشمالية مستعدة لأن تتخلى عن برنامجها النووي من أجل إرضاء الولايات المتحدة ناهيك بأنها أعلنت بالفعل أنها تمتلك السلاح النووي.

والسؤال المهم هو ما الذي يجعل القذافي يتقدم لمساعدة الولايات المتحدة؟

الإجابة ببساطة هي أن القذافي لا يختلف عن الزعماء العرب الذين رفعوا الراية البيضاء وصاروا يقدمون خدماتهم المجانية للولايات المتحدة التي لا تقدر مثل هذه المبادرات التي تأتي دائما ضد مصالح الشعوب وخاصة العربية التي تصحو في كل يوم على موقف أمريكي ينتقص من سيادتها الوطنية، ولا أعتقد أن القذافي يجهل أن الولايات المتحدة تقف في الخط المعادي للأمة العربية وال اتحفظ الجميل لأحد وأن مجرد التفكير في إخراجها من مآزقها يعتبر عملا مضادا لمصالح الأمة العربية.

وليس القذافي وحده الذي يتخذ مواقف تدعو إلى الإستغراب فقد رأينا كثيرا من الدول والجماعات التي التزمت الصمت خلال حرب لبنان الأخيرة ـ مع اسرائيل ـ تتحرك من أجل تجيير المشهد اللبناني لخدمة أغراضها، فقد رأينا الرئيس السوري بشار الاسد في بادىء الأمر يصف بعض القادة العرب بأنهم أنصاف رجال ورأينا قادة لبنانيين مثل وليد جنبلاط وسعد الحريري ينتقدون الرئيس بشار الاسد وهو موقف يعيد المشهد اللبناني إلى المربع الأول وكأن حزب الله لم يسجل انتصارا يستحق عليه الإشادة.

وأما الجامعة العربية فقد كان موقفها أيضا غريبا إذ خرجت علينا ببيان يقول إن ثلاث دول هي المملكة العربية السعودية ومصر والأردن ستتقدم بمشروع نيابة عن الأمة العربية إلى مجلس الامن تطالب فيه بإحياء عملية السلام التي أعلنت في وقت سابق أنها قد ماتت. وكان بيان الجامعة العربية غريبا لأنه حصر المشروع في ثلاث دول لم تتخذ موقفا مناهضا لإسرائيل ولامت حزب الله على حربه معها. كما أن هذه الدول الثلاث في هذه المرحلة لا تمثل الإرادة العربية وينظر الكثيرون إلى مواقفها السياسية بغير قليل من الشك، فهل تريد هذه الدول أن تحقق لإسرائيل والولايات المتحدة ما عجزتا عن تحقيقه باستخدام وسائلهما العسكرية؟

الإجابة هي التأكيد لأنه بعد صدور القرار 1701 بدأنا نسمع من جديد مواقف جون بولتن الذي دعا بصورة واضحة إلى تجريد حزب الله من سلاحه وهو موقف لم يجمع عليه المجتمع الدولي من خلال قرار مجلس الأمن السابق. ولا شك أن هذا هو الموقف الاساسي للولايات المتحدة التي لم تكن تعتزم احترام القرار بل أرادته مجرد وسيلة لحفظ ماء وجه اسرائيل بعد هزيمتها العسكرية. وهذا موقف يتكرر وقد مارسته الولايات المتحدة في كثير من القرارات التي وجدت نفسها مجبرة على الموافقة عليها.

وإذا تجاوزنا المواقف الرسمية للحكومات العربية وهي مواقف تتطابق في معظمها مع المواقف الأمريكية والإسرائيلية حتى لوكانت ضد مصالح الشعوب العربية، فإننا نجد المواقف الشعبية تختلف كثيرا. فقد اصبحت الشعوب العربية بعد حربي العراق ولبنان مقتنعة بان الولايات المتحدة لا تستطيع أن تحقق أهدافها بواسطة القوة العسكرية. وذلك على الرغم من أن الحكام العرب يجتهدون في إعلام شعوبهم أن الولايات المتحدة هي أعظم قوة في العالم. وذلك منطق لم تعد تقبله الشعوب الحية التي أدركت أن القوة العسكرية وحدها غير قادرة على تحقيق الأهداف على الرغم مما تحدثه من دمار هائل. وهناك شواهد كثيرة على ذلك منها هزيمة الولايات المتحدة في فيتنام وهزيمة اسرائيل الأخيرة في لبنان.

ولكن هل الأمر يقتصر على دور الولايات المتحدة في هذه المنطقة؟

الإجابة لا، لان اسرائيل والولايات المتحدة ليستا وحدهما اللتان تقفان في وجه المصالح العربية بل تتضامن معهما أيضا معظم الحكومات العربية التي تتخذ مواقف واضحة ضد شعوبها وقد أتيحت لي خلال هذا الاسبوع حضور ندوة في الجمعية السودانية لحقوق الإنسان حول إصلاح القوانين وكان الموضوع هو قانون الأمن الوطني السوداني في الدستور الإنتقالي وظللت خلال ساعتين أتابع الحوار وأنظر بدهشة إلى اولئك الذين لم يروا في قانون الأمن الوطني قانونا لأمن الدولة يركز على الكيفية التي يحفظ بها النظام أمنه من خلال الرقابة والمتابعة والتنصت دون أن يكون هناك أي اهتمام بأمن المواطن في مجالات الضمان الإجتماعي والتعليم والصحة وكل تلك مجالات انتكست في السودان بدرجة كبيرة بل لم يتنبه أحد إلى أن القانون موضوع النقاش وضع في دستور انتقالي في القرن الحادي والعشرين بينما استقل السودان في منتصف القرن العشرين.

ولا يعتبر السودان في ذلك حالة شاذة لان معظم الدول العربية تسيطر عليها حكومات لا تقيم اعتبارا لتحقيق العدالة أو فرض نظام الدولة المتعارف عليه في النظم الحديثة، وقد رأينا في الأيام الماضية حادثة القطار المصري التي بدأت السلطات في معالجتها بوسائل تقليدية وبدلا من أن تستجيب للمطالب الشعبية بإقالة وزير المواصلات رأينا الحكومة تجعل من مدير الهيئة كبش فداء وهذا هو الاسلوب الذي تمارسه السلطات العربية في الظروف المماثلة.

ولا شك عندي أن غياب نظام الدولة الحديثة في العالم العربي هو المسؤول عن الفساد وكل ما يحدث في العالم العربي ولا نعني بالدولة الحديثة السلطة فقط بل النظام العصري الذي تقوم عليه السلطة. ويبدو ذلك في غياب النظم الإقتصادية والمصارف التي تستند إلى اسس علمية ذلك أن السائد في العالم العربي قرارات عشوائية في مجال الإقتصاد تخدم مصالح فئات قليلة بينما تلقى مسؤوليات جسام على الفقراء من خلال الضرائب المرهقة والروتين الممل وضياع الحقوق بعد تخفيض أسعار العملات وسرقة الأموال من خلال اسهم تباع وتشترى في بورصات وهمية لا تستند إلى نظام إقتصادي حقيقي كما تفتقر الدول العربية إلى النظم العدلية التي تستخلص بواسطتها الحقوق.

ولكننا ندرك مع ذلك أن العالم العربي وصل إلى نهاية الشوط بسبب الزيادات الكبيرة في أعداد السكان ونزوح الكثيرين من القرى إلى المدن وزيادة الإحساس بفقدان الأمل في نظم تأخذ من الناس الكثير ولا تعطيهم إلا القليل. وهي نظم فقد الناس الثقة بها ويرجح أن لحظة الإنفجار ستكون قريبة وحاسمة وذلك ما حفز كثيرا من الحكومات العربية إلى الهرولة إلى ركوب ما ظنته سفينة نجاة أمريكية اسرائيلية من اجل الإستمرار باساليب قديمة وبالية. وهي في هذه الهرولة تتنازل عن الحقوق العربية وتضحي بمتطلبات السيادة الوطنية ومن المؤسف أن تكون مصر قي مقدمة هذا التيار وبدلا من أن تمارس دورها القيادي في العالم العربي فهي تتحالف مع الأمريكيين والإسرائيليين ضد مصالح الأمة العربية مضحية حتى بتحرير أرضها في سيناء التي تزعم أنها حررتها من يد الغاصبين الإسرائيليين مع أن مصر حتى اليوم غير قادرة على التحكم في سيناء بشكل كامل ويحظر عليها أن تدخل جنودها إلى المنطقة..

ويخطئ أمثال هؤلاء القادة إذا ظنوا أن معركة العرب مع اسرائيل قد انتهت أو أنها حسمت لان المعركة مستمرة ولم تقتنع حتى الآن الولايات المتحدة أو اسرائيل بأن هناك طريقا للسلام لأن كل ما يصدر عن هاتين الدولتين هو احتقار واستهانة بالحكومات العربية ويظهر ذلك بشكل واضح في الموقف من سورية وإيران والسودان. وهو موقف لا يفسر إلا من خلال نظرية التوسع الإسرائيلية المدعومة بالمساندة الأمريكية ولكن حرب لبنان الاخيرة غيرت الصورة تماما وبعثت روح المقاومة من جديد ولأجل ذلك تحاول الولايات المتحدة دفع حلفائها من الحكومات العربية لتبني مشروعات ضد المصالح العربية حتى تكون أكثر قبولا عند العرب، ومن المخجل أنه بعد الإنتصار الكبير الذي حققه حزب الله في مواجهة اسرائيل تخرج علينا الجامعة العربية بموقف هزيل يدور حول استئناف عملية السلام التي ترفضها اسرائيل جملة وتفصيلا. وكان الموقف الصحيح هو أن تتعالى روح التحدي ضد اسرائيل من أجل تحقيق المصالح العربية لا أن تتخاذل الحكومات العربية أمامها وكأنها لم تهزم في معركتها ضد حزب الله.

ومؤدى قولنا ان مواقف الحكومات العربية المتخاذلة ليست نهاية المطاف فقد أحيت المواجهة الأخيرة الأمل في أن المعركة النهائية والحاسمة مع اسرائيل هي مسألة وقت إذا لم يسارع المجتمع الدولي إلى إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية. وإذا لم تتفهم الحكومات العربية إرادة شعوبها.

* كاتب من السودان

تجنب شخصنة المقاومة

د. علي محمد فخرو

■ من طبع البشر أن يتعلقوا بالأشخاص أكثر من تعلقهم بالمؤسسات. فالمؤسسة هي فكرة مجردة غير محسوسة بينما الأشخاص هم من لحم ودم متجسدون أمامنا فكراً وحديثا وتصرفات. هذا الطبع البشري هو نقطة ضعف في حياة المجتمعات وعلى الأخص في حياتها السياسية، لكنه يوجد مضاعفا في المجتمعات العربية. تلك مقدمة ضرورية عند النظر في كيفية تفاعل الإعلام والشارع العربيين مع المشهد الجديد في حياتنا العربية: مشهد إنجازات المقاومة العربية والإسلامية الباسلة في لبنان وفلسطين والعراق وغيرها. في تفاعل العرب مع ذلك المشهد تبرز ثلاث نقاط جديرة بالانتباه لها:

أولاً: المبالغة في شخصنة حركات المقاومة إلى الحد الذي يبدو وكأن انتصاراتها هي حصيلة جهود وعبقرية الشخص القائد وحده. يبدو ذلك أكثر وضوحاً عند التعامل مع المقاومة الإسلامية في لبنان. فالانتصارات الرائعة التي حققها حزب الله تكاد تختزل في قائدها الفذ، ويكاد الناس أن ينسوا أن وراء سماحة السيد حسن نصر الله عشرات ممن نجحوا في كسر الطوق المعرفي والتكنولوجي العسكري الحديث، ومئات ممن درسوا وطبقوا بكفاءة عالية نظم الإدارة والتنظيم الحديثين الصارمين، ومئات ممن أبدعوا في تربية الألوف من الشباب تربية إسلامية ثورية جهادية استشهادية لا تهاب الموت بل وتعشقه، وألوف ممن توصلوا إلى جعل مجتمعات الجنوب المحلية واحات أمان واحتضان وسكان الجنوب بحرا من الشجاعة واحتقار العدو والثقة في المقاومة.

ثانيا: وإذن، وكتكملة لما سبق، يجدر التركيز الشديد على تفاصيل وخبايا مأسسة المقاومة، على طريقة بنائها، على منهجية وأساليب عملها، على علاقاتها العضوية المتلاحمة المتناغمة مع محيطها المحلي والوطني، على كفاءة تحالفاتها الإستراتيجية في الداخل والخارج، على أساليب اتخاذ القرارات الكبرى فيها، وأخيراً على قدراتها الموضوعية في أن تكون رافداً لحركات التحرر الوطني والنهوض العربية في المستقبل المنظور. ذلك أن كيفية صنع المؤسسات وتسييرها بكفاءة وربطها بأحكام بالأسس الكبرى التي تحرك عصرنا قد أصبحت احدى قضايا العربية الكبرى بعد أن شاهدنا مآسي الوهن والبلادة والفوضى والتخلف التي تميزت بها الكثير من المؤسسات العربية، وعلى الأخص السياسية منها، عبر القرن الماضي كله. من هنا فان الانجازات التي حققتها حركات المقاومة، كل بأسلوبها الخاص الملفت للنظر، في العراق ولبنان وفلسطين يجب ان تتجذر في ثقافة العرب السياسية لتحفز وتغني كل مؤسسات المجتمع المدني في الأرض العربية كلها. وذلك لن يتم إذا رجحت كفة الشخصنة على كفة المأسسة في تحليلنا الحالي للمقاومة الطليعية الواعدة التي تشع أنوارها من الأقطار العربية الثلاثة.

ثالثا: لم يعرف التاريخ حركة مقاومة وطنية ناجحة وفاعلة دون تعاطف وإسناد من قبل محيطها البشري. وبالرغم من أن ذلك التعاطف والإسناد يمكن أن يكون عفويا، إلا إن التاريخ يشير إلى أن بناء تلك العلاقات يحتاج إلى أساليب متعددة، وعلى مستويات مختلفة، وإلى جهود دؤوبة مضنية طويلة الأمد. من هنا فان دراسة العلاقات الحميمية التعاضدية بين حركات المقاومة الثلاث وبين الجماهير المحيطة بها، بالرغم من الآلام والأحزان والتضحيات الجسام التي تتعرض لها تلك الجماهير يوميا بسبب نشاطات المقاومة، أصبحت أمراً بالغ الأهمية للحركات السياسية العربية كلها التي فشلت ولا تزال تفشل في تحريك أناس محيطها حتى للتظاهر، وليس مواجهة الموت والدمار، من أجل مقاومة الاستبداد والفساد الداخلي أو هيمنة الاستعمار الخارجي.

قادة المقاومة لم يقصدوا قط أن تنقلب المقاومة الى استعراضات فولكلورية وقصص إعجاب لأفراد أبطال، بل يهمهم أن تتجذر روح ومنهجية المقاومة في أن تكون فاعلة بنجاح، عصرية إلى أبعد الحدود، مستمرة دون توقف، محتقرة للأقوال التي لا تسندها أفعال، ومتوجهة أبداً نحو النور الذي تطل تباشيره من المستقبل.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364